الدراما الرمضانية العمانية.. غابت قسرا أم غيبت عمدا؟

د.سعيد السيابي

يأتي رمضان المبارك حاملا بشارات الخير وأوقات الصفاء واجتماع الأسرة والأحباب وكما تعودنا كل عام أن تكون هناك مائدة رمضانية منذ أن بدأ تلفزيون عمان بالإنتاج الدرامي وتحديدا في العام١٩٧٧م ولم تنقطع هذه العادة التي تتنافس فيها كل التلفزيونات العربية بدون استثناء في الإنتاج الدرامي المحلي في فترات الرخاء وحتى الصراع كما في بعض الدول العربية حاليا حيث وصل الإنتاج السوري لأكثر من خمسة عشر عملا دراميا والتلفزيون اليمني أنتج مسلسلا دراميا!

هذه المقدمة كان لابد منها لسببين، بداية، التأكيد على أن هناك تاريخ درامي عماني طويل ونسبة المشاهدة والعادة الحسنة التي قام المخططون للبرامج في تلفزيون سلطنة عمان بالتأكيد عليها— حتى غابت هذا العام ٢٠١٦ فقط- وذلك للحقائق العلمية التي تؤكدها نسبة المشاهدة المرتفعة للبرامج الدرامية، والترقب الكبير للجديد في هذا الإنتاج.

واليوم، بعد انقضاء الشهر الكريم نحاول أن نقدم رصدا وقراءة على الساحة الفضائية الدرامية العمانية ونجيب عن سؤال من غيب من؟!

جلالة السلطان المعظم والحكومة كانت لهم خطوة متقدمة في فصل وزارة الاعلام وتشكيل هيئة للإذاعة والتلفزيون في العام ٢٠١١، وتواكبت مع رغبة كبيرة من العاملين في القطاع الإعلامي المرئي والمسموع، وتم تعيين أكاديمي ومفكر على رأس هذه الهيئة، معالي الدكتور عبدالله الحراصي، مع إمكانيات مادية مضاعفة عما قبل في ميزانية الهيئة، مع وجود قطاع أساسي للإنتاج الدرامي كأحد أذرع هذه الهيئة التي كشفت عن هويتها وشعارها الجديد في العام ٢٠١٦، وتعيين كاتب وممثل مخضرم وله باع طويل في الانتاج الدرامي الإذاعي والتلفزيوني العماني وهو الأستاذ أحمد الأزكي، إضافة الى وجود أكاديميين أثنين في مجلس الهيئة ولهما باع طويل في المجال الدرامي وعطائهم وخبرتهم كبيرة هما الدكتور عبدالكريم جواد والدكتورة فاطمة الشكيلية، مع تدشين قناة ثقافية فضائية عمانية جديدة على الساحة الإعلامية، كل هذه التغييرات الإيجابية التي تحققت واقع ملموس.

القطاع الدرامي والخطوات غير المتحققة وتم الإعلان عنها وتنفيذها ما زال معلقا.. بداية، أعلن عن وظائف في هذا القطاع ومسميات لمتخصصين يرفدون هذا المجال الحيوي والمتطور وهو تشكيل معلن وموجود في البنية الهيكلية للهيئة ولكنه للأسف استمر على ذات الفراغ، والتنقلات الوظيفية كانت داخلية، ولم يرفد القطاع بأي خبرات وظيفية عربية لها تاريخ، خصوصا في الإخراج الدرامي، كما حدث في فترات تاريخية سابقة مع تلفزيون سلطنة عمان، وهي خطوة تعد مهمة، خصوصا في بداية تمدد القطاع الدرامي، وتشكله كجناح كبير في الهيئة حاليا. إضافة إلى أن مجلس الهيئة أعلن رسميا في عام ٢٠١٥ عن (إقامة ندوة الدراما العمانية) ولكن للأسف أيضا تبخر المشروع في بيروقراطية الاجتماعات الكثيرة التي تمت لها ولكنها في النهاية هذه الندوة لم تر النور.

الكتابات النقدية والصحفية والدراسات التي تمت حول تطوير الدراما العمانية كثيرة في مجملها، ويمكن البناء عليها، ولنكن صريحين في تفاؤلنا، تمتلك الكثير من المخارج على الأوضاع التي تجمدت في العام ٢٠١٦ حيث ظهر التلفزيون العماني وقنواته بدون عمل درامي محلي، وهي المرة الأولى في تاريخه منذ بدايات الإنتاج الدرامي، العاملون في هذا المجال وشركات الإنتاج الدرامي المحلي تواصلوا مع الهيئة عشرات المرات وكتبوا في الصحافة ووسائل التواصل الاجتماعي على حساباتهم وحسابات المسؤولين والمشرفين الإداريين في الهيئة ولكنها للأسف لم تجد صدى واقعيا عليها.

هل هناك نصوص درامية عمانية وصلت للهيئة ولقطاع الإنتاج الدرامي؟ الإجابة نعم وعدد منها مجاز من قبل اللجنة التي شكلتها الهيئة العامة لاختيار أفضل النصوص الدرامية وتشجيع الكتابات الجادة والوصول لقضايا متنوعة وللتدليل على ذلك هناك موافقة على انتاج نص درامي وإن جاءت متأخرة بسبب البيروقراطية، وأضع عشرة خطوط تحتها، والتي يفترض أن تراجع بشفافية إذ كيف يكون (مجلس المناقصات) على مستوى الدولة هو الحكم النهائي على منح شركة إنتاج يتيمة تتقدم للعرض دون منافسة من شركات أخري!!

هناك نص درامي كوميدي للكاتب العماني المعروف صالح شويرد باسم (دنيا مسعود) وكنت كمراقب للإنتاج الدرامي العماني أتوقع أن أجد تلهفا من القائمين على قطاع الإنتاج الدرامي على عودة وتشجيع هذا الكاتب الذي قامت على يديه العديد من الاعمال الدرامية التي ظلت محفوره في الذاكرة المجتمعية العمانية.

كذلك وجدنا سفراء الدراما العمانية يظهرون بإمكانيات كبيرة في مسلسلات وقنوات خليجية ولا نجد استقطابا لتلك المسلسل التي شارك فيه فنانونا على قناتنا المحلية؟ على الرغم من تعاقد وشراء الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون لثلاثة مسلسلات من الاعمال الدرامية الخليجية والعربية، ولم تكن الجودة بالضرورة العامل في الشراء، ولا العمل كان عرضه حصريا على قناتنا التلفزيونية!

نعم، بكل قوة وتنافس، ظهر الفنانون العمانيون الكبار على تلفزيونات خليجية مثل: فخرية خميس في مسلسل (حريم بوسلطان) تأليف حمد الشهابي على تلفزيون قطر، وشارك الفنان القدير صالح زعل في التمثيل في مسلسل (خيانة وطن) تأليف إسماعيل عبدالله على تلفزيون أبوظبي، والفنان القدير سعود الدرمكي في بطولة مسلسل (مكان في القلب) تأليف سلطان النيادي على تلفزيون دبي.. وغيرهم من الممثلين العمانيين.

ختاما، بعد هذا التطواف السريع على بعض محطات قضايا الدراما العمانية في العام ٢٠١٦ م لابد من إعادة السؤال هل هناك غياب أم تغييب؟ وهل التغييرات التي في المشهد الدرامي العماني تستوعب الصناعة الدرامية التي يمكن أن يسهم بها هذا القطاع مستقبليا إذا ما توفرت له قراءة صريحة بدون تعالى على إمكانيتنا، وبدون تجاهل لمطالب شركات الإنتاج الدرامي، وعلى أقلها تصنيفها على درجات ومستويات حسب عمرها الإنتاجي واستمراريتها في الإنتاج لسنوات.

كل عام وجميع الفنانين العمانيين بخير، والعاملين في هيئة الإذاعة والتلفزيون، وعام قادم أكثر إنتاجية وحضور درامي.